جغرافية الصين عند الجغرافيين العرب

. د قيس عبد العزيز مهدي
أستاذ مساعد بقسم العلوم الاجتماعية
كلية التربية ـ جامعة صنعاء

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين

أما بعد

يمتلك تاريخ الصين أهميةً حيويةً في الدراسات التاريخية، ولا شك أن لهذه المنطقة الجغرافية أهميه خاصة، عبر العصور التاريخية المختلفة بشكلٍ عام ، والعصور الإسلامية بشكلٍ خاص، فقد شهدت هذه الرقعة الجغرافية أحداثاً سياسية واقتصادية واجتماعية مهمة، أثرت وتأثرت بالأمم الأخرى والبلدان المجاورة ، وذلك بسبب جغرافية الصين المتميزة، فان موقع الصين الجغرافي المهم ، وثرواتها الطبيعية، وصناعاتها وتجارتها، والأحداث السياسية والعسكرية انعكست آثارها على العالم كله

وتمتد أهمية الصين إلى أعماق التاريخ القديم، وذلك عن طريق الصلات التجارية مع العرب من خلال الخليج العربي ، ومع الهند والفرس والأتراك،وكان ذلك بسبب طرق المواصلات السالكة الذاهبة والقادمة، سواءً كانت بحرية أم برية، ولهذه الأهمية فقد تعرضت الصين إلى سلسلة من الغزوات في العصور التاريخية القديمة

ولقد قسمت البحث إلى مقدمة و مبحثين وخاتمة، فتناولت في المبحث الأول تسمية الصين والحدود والموقع والمناخ والسطح والتضاريس، وتشمل البحار والأنهار والجزر والجبال، بالإضافة إلى مدن الصين حسب ما وردت في كتب الجغرافيين المسلمين، أما المبحث الثاني فقد أوردت فيه عن السكان، حيث تناولت التنوع السكاني الموجود في الصين، وأوردت أن للديانات المنتشرة في الصين أهمية عظيمة، وخاصة الكونفوشيسية والبوذية والداوية وغيرها من الديانات، ولما لها تأثير على الحياة في كافة المجالات، وتطرقت إلى تاريخ اللغة أيضا في هذا المبحث، وأنهينا بحثنا بخاتمة تطرقنا فيها إلى ما توصلنا إليه من نتائج

المبحث الأول

جغرافية الصين

1ـ التسمية:

الصين(*بكسر الصاد وياء ساكنة وسكون النون*)، اسم لبلد ، وأشهر ما سمي بهذا الاسم هي بلاد تقع بين المشرق والجنوب، وهي مملكة واسعة ذات سلطان عظيم [1] ،وسميت الصين بهذا الاسم نسبةً إلى صين بن بغبر، (و صين وبغ بر هما ابنا بغبر بن كماد بن يافث بن نوح(ع)) وذلك لأن أول من ح لّها وسكنها هو صين بن بغر بن كماد، وتطلق تسمية الصين أيضاً على موضعين في الوطن العربي ، الأول موضع بالكوفة ، والثاني موضع قريب من الإسكندرية، والصين بالكسر موضعان هما الصين الأعلى والصين الأسفل، وتقع تحت مدينة واسط بُليدة(بُليدة بلدة صغيرة) مشهورة يقال لها الصينية ، ويقال لها أيضاً صينية الحوانيت، ويقال لمن ينتسب إليها صيني، ومنها الحسن بن أحمد بن ماهان أبو علي الصيني، وأما إبراهيم بن إسحاق الصيني(فهو تاجر كوفي كان يتاجر إلى الصين) فنسب إليها، وقال أبو أسعد (وممن نسب إلى الصين أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري الأندلسي، وكان يطلق على نفسه الصيني لأنه كان قد سافر من المغرب إلى الصين، وكان فقيهاً صالحاً كثير المال) [2] ، والصين بلد ، والصواني(الأواني) منسوبة إليه[3].

2ـ حدود الصين وموقعها:

إن حدود وموقع الصين ضمن الأقاليم السبعة على وجه الأرض ، والتي حددها الجغرافيون المسلمون مهمة ومميزة ،حيث تقع الصين ضمن الإقليم الأول والثاني والثالث، ويذكر أن الصين في الإقليم الأول يبتدئ فيها من المشرق في

أقاصي بلاد الصين ويمر على الصين ثم يمر على سواحل البحر في جنوب بلاد السند ، أما الإقليم الثاني فيبتدئ من المشرق ويمر على الصين ثم على بلاد الهند ، والإقليم الثالث يبتدئ من المشرق ويمر على شمال بلاد الصين ثم على بلاد الهند [4]، بينما يرى آخرون أن الأقاليم السبعة جاءت نتيجة تقسيم الربع المسكون من الأرض سبعة أقسام ، وسمي كل قسم منها إقليما ، فتكون الأقاليم كلها سبعة ،وقد قسمها هرمس الأول إلى أقسام مستويةً، فجعل الإقليم الرابع في الوسط من العمران، والستة الباقية تحيط به ، وكل إقليم منها طوله سبعمائة فرسخ وعرضه سبعمائة فرسخ، فالأول منها الهند ، والثاني الحجاز ، والثالث مصر والإسكندرية ، والرابع بابل ، والخامس الروم ، والسادس يأجوج ومأجوج، والسابع هو الصين، وقسمها بطليموس الحكيم بخلاف ذلك، وجعلها على قدر بعدها عن خط الاستواء إلى سبعة أقسام، وجعل الإقليم الثالث للصين ابتداءً من المشرق ويمر على بلاد الصين وجنوب بلاد يأجوج ومأجوج ثم يمر على بلاد الترك[5].

وبقول ابن الوردي [6]: إن طول بلاد الصين من المشرق إلى المغرب شهران(2880 كيلومتراً تقريباً) ،وعرضها من بحر الصين في الجنوب إلى سد يأجوج ومأجوج في الشمال، وقيل إن عرضها أكثر من طولها، ويشتمل عرضها على الأقاليم السبعة، ويبتدئ الإقليم الأقصى من الصين، وهي التي تكون فيها الصين نهاية العمارة من الشرق، وليس وراءهم غير البحر المحيط، ومدينته العظمى هي (السبلى)، وأخبارهم منقطعة عنا كما يقول ابن الوردي

ويذكر أنها بلاد واسعة، حتى قالوا إنها نحو ثلاثمائة مدينة تنتشر على مسافة 2880 كيلومتراً تقريبا وأنها كثيرة المياه كثيرة الأشجار والشجيرات وارفة الظلال وافرة الثمرات[7].

وأراضي الصين ما بين بحر المحيط وأراضي التغرغر والتبت والخليج

العربي [8] ، وأن مُلك الصين مُلكٌ متسع دوره مسيرة ستة أشهر(أي مايقارب8640كيلومتراً)، وقيل إنه يحويه سور واحد لم ينقطع إلا عند الجبال المنيعة والأنهار الواسعة، وقد انقسم من قديم الزمان إلى ستة أجزاء، كل جزء منها مسيرة1440كيلومتراً، ويتولى أمره خان أي ملك[9]

ومن المعلوم أن بعض الأراضي التي كانت تعود إلى بلاد الصين في السابق هي خارج مملكة الصين حالياً، وبالعكس، ومنها التبت، وذلك لأن الإدريسي[10] ، يذكر (أن بلاد الصين الخارجة يليها ما يلي البحر الشرقي من بلاد التغرغر، ويلي بلاد التغرغر مما يلي فرغانة من بلاد التبت، وأرض التبت تجاور الصين وبعض بلاد الهند، ويتصل بها من جانبي الشمال أرض الخرلخية، وفي شرقها تقع بلاد التغرغر، ومدينتها العظمى المسماة تنتبغ)

والطريق إلى الصين من مايط (ذات اليسار) إلى جزيرة تيومة(وهي مدينة يكثر فيها العود الهندي والكافور)، ومنها إلى قمار مسيرة 240كيلومتراً، ومن قمار إلى الصنف على الساحل مسيرة 141كيلومتراً، ومن الصنف إلى لوقين (وهي أول مراقي الصين وفيها الحجر الصيني والحرير الصيني ويكثر فيها الأرز) مسافة مئة فرسخ(480 كيلومتراً) في البر والبحر، ومن لوقين إلى خانقو(وهي مرقى الصين الأكبر وفيها الفواكه كلها والبقول والحنطة والشعير والأرز والقصب) مسيرة 192كيلومتراً في البحر والبر، ومن خانقو إلى خانجوا وهي إحدى مراقي الصين وفيها مثل ما في خانقو مسيرة 384 كيلومتراً، ومن خانجوا إلى قانطو(960كيلومتراً)

ولكل مرقى من مراقي الصين نهر عظيم تدخله السفن، ويكون فيه المد والجزر، وطول بلاد الصين على البحر من أرامبيل إلى 2880كيلومتراً، وفي الصين ثلاثمائة مدينة عامرة، تسعون منها مشهورة، وحد الصين من البحر إلى التبت والترك غرباً إلى الهند، وفي مشارق الصين تقع بلاد الواق واق، وهي بلاد

كثيرة الذهب، حتى أن أهلها يستخدمون سلاسل ذهبية لكلابهم، وأطواقا ذهبية لقرودهم[11].

وتقع معظم أجزاء الصين في المنطقة المعتدلة، ويقطعها من الجنوب مدار السرطان[12].

3ـ مناخ الصين:

نظراً لسعة مملكة الصين وتنوع سطحها وتضاريسها واحتوائها على مدن وأقاليم شاسعة ، فإن مناخ أقاليمها متنوع بتنوع مواقع هذه الأقاليم، وبتنوع تضاريسها، ففيها الجبال والسهول والوديان والبحار، لذا فإن قسما منها حار لشدة وقع الشمس عليه وخاصةً في جنوبها، وتقع في مشارق الصين تحديداً مدن لا يدخلها شخص ويخرج منها، وذلك لطيب هوائها وفرط شعاعها وجمال أرضها وعذوبة مائها وتنوع محاصيلها[13].

وتقع معظم أقاليم الصين ضمن المنطقة المعتدلة والمناطق شبه المدارية، ويقع جزء منها في المناطق المدارية جنوباً، وأما شمالها فيقترب من المناطق المتجمدة[14].

4ـ السطح والتضاريس:

أ- البحار والأنهار:

تتصل الصين بالبحر المحيط بأرض الصين، وحدّه من المشرق إلى بحر القلزم (البحر الأحمر)، ومنه إلى المغرب، وليس على الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، ويقال له بحر الهركند، وهو عظيم الموج عظيم الاضطراب بعيد العمق

ويقول البحريون إن جميع المد والجزر في بحر الهركند وما يتصل به كما في بحر فارس، وكيفيته أن القمر إذا بلغ مشرق البحر ابتدأ البحر بالمد ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ القمر وسط سماء ذلك الموضع، فعند ذلك يبلغ المد ذروته، وإذا انحط القمر عن وسط سمائه خسّ الماء ورجع، ولا يزال كذلك إلى

أن يصل القمر مغرب ذلك الموضع، فعند ذلك يبلغ الجزر منتهاه، وإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد هناك مرةَ ثانية، ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر إلى وتد الأرض فحينئذ يبلغ المد ذروته ثانية، ثم يبتدئ المد بالانحسار ويبتدئ الجزر ثانيةَ، ويذكر أن بحر الصين إذا قرب هيجانه يُستدل على ذلك بارتفاع السمك من قعره إلى وجه الماء[15]

ويصف المسعودي[16] بحر الصين بأنه البحر السابع، ويطلق عليه بحر ضجي، وهو بحر خبيث كثير الموج والخب (الخب هو الشدة العظيمة في البحر)، وفيه جبال كثيرة لا بد للمراكب من النفوذ بينها، ويسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره البحر الحبشي الدولي، وفي هذا البحر أخبار عجيبة، وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالك تعرف ولا توصف إلا بلاد السيلى، أو السلى ويعتقد أنها جزر سيلان

ويطلق على بحر الصين أيضاً بحر الهركند(وهو نفسه بحر الصين والبحر السابع وبحر الحبشي وغيره)، ويذكر أن هذا البحر هو الذي ركبه الخضر بن عاميل في نفر من أصحابه حتى بلغه (فقال لأصحابه دلوني فدلوه أياماً وليالي ثم صعد فقالوا له يا خضر ما رأيت؟ فقد أكرمك الله وحفظ لك نفسك في لجة هذا البحر، فقال استقبلني ملك من الملائكة فقال لي أيها الآدمي الخطاء إلى أين ومن أين؟ فقلت أردت أن أنظر عمق هذا البحر فقال لي فكيف وقد أهدى رجل من زمان داود النبي عليه السلام ولم يبلغ ثلث قعره حتى الساعة وذلك منذ ثلاثمائة سنة؟ قلت فأخبرني عن المد والجزر، يريد زيادة الماء ونقصانه، فقال الملك إن الحوت الذي الأرض على ظهره يتنفس فيصير الماء من منخره، فذلك الجزر، ثم يتنفس فيخرجه من منخره فذلك المد، فقلت فأخبرني من أين جئت؟ فقال من عند الحوت بعثني الله إليه أعذبه لأن حيتان البحر شكت إلى الله كثرة ما يأكل منها، فقلت فأخبرني على ما قرار الأرض؟

قال الأرضون السبع على صخرة والصخرة، على كف مَلَك، والمَلَك على جناح الحوت في الماء، والماء على الريح، والريح في الهواء عقيم لا تلقح، وإن قرونها معلقة بالعرش) [17]، وهنا المقصود في هذه الرواية هومدى عظمة هذا البحر وسعته على الرغم من وجود مبالغة فيه

ويذكر الإدريسي [18] أن الأقاليم السبعة تخترقها سبعة أبحر تسمى خلجاناً، ستة منها متصلة، وبحر واحد منفصل لا يتصل بشيء من هذه البحور في الأرض المعمورة، وهو بحر الصين

وتضمن بحر الصين بحر صنخي، ومن الناس من يسميه بحر الصنف، ورأسه ومبدؤه من البحر المحيط المسمى هناك البحر الزفتي، لأن ماءه كدر، وريحه عاصفة، والظلمة لا تزال واقعة عليه في أكثر الأوقات، ويتصل البحر الزفتي بالبحر المحيط المتصل ببلاد يأجوج ومأجوج وإلى ما تحتها مما يلي الأرض الخالية من جهة هذا البحر أيضاً من جهة الجنوب على جزائر الواق واق وبحر الحيات المحيط بالأرض من جهة الجنوب إلى بحر الشمال، ويتصل ببحر الظلمات المتصل أيضاً بجهة المغرب ، ويتصل المحيط بالأرض في جهة الجنوب ، وهذا البحر عاصف الرياح كثير الأمطار، وريحه بحرية تجري ستة أشهر دائماً ثم تنقلب إلى ريح أخرى، وفيه عدة جزر، فمنها ما يصل إليها التجار ومنها ما لا يصلون إليها، لتعذر المسالك وهول البحر وتقلب الرياح وتوحش أهلها وانقطاعهم عن مجاورة الأمم المعلومة.[19]

أما أنهار الصين فمنها نهر كلهى، وأهل الصين الساكنون على ضفتيه لهم سنّة معتادة في هذا النهر، إذا أذنب الرجل منهم ذنباً وأراد التكفير عن ذلك سار إلى هذا النهر وحوله جماعات الناس يدعون له بالطوبى ويدعونه بالكرامة والخلود، فإذا وصل إلى هذا النهر أغرق نفسه فيه حتى يموت وذلك في فترة حياة كونفوشيوس[20] ، وفيه من الأنهار الكبار نهر خمدان الصين وهو من الأنهار

الكبار المشهورة[21] ، وهذا النهر عليه عمارات وفيه شجرة عظيمة باسقة يقال أنها من حديد وتسمى باللسان الهندية (برشول)، وهي مبنية في قعر النهر مثبتة وطولها فوق الماء نحو عشرة أذرع[22]، وهناك أنهار كثيرة (منها نهر كنك ونهر بهنك ونهر قاقلا[23].

ويذكر أنه كانت قد أقيمت جسور وقناطر على الأنهار، ويذكر أيضاً أن قنطرة ختن(*بضم الخاء وفتح التاء*) في بلاد ما وراء النهر وكانت معقودة على رأس جبل إلى جبل، وأن أهل الصين عقدوها في الدهر القديم [24] ،مما يدل أن الصينيين يمتلكون الخبرة في إنشاء القناطر والجسور لكثرة الأنهار لديهم

أما في الوقت الحاضر فإن أطول نهر موجود في الصين هو نهر اليانغسي، ويبلغ مجمل طوله 6300 كيلومتراً، وهو ثالث أطول نهر في العالم بعد نهر النيل في أفريقيا، ونهر الأمازون في أميركا اللاتينية، والنهر الأصغر ثاني أطول أنهار الصين، ويبلغ مجمل طوله 5464 كيلومتراً[25].

ب- *الجزر*:

الجزائر في بحر الصين كثيرة ومتناثرة في مناطق الصين البحرية الواسعة، ومنها

1. جزيرة راتج وهي جزيرة كبيرة في حدود الصين أقصى بلاد الهند، وملكها يقال له المهراج، ويعيش في هذه الجزيرة أصناف من الببغاء، بيض وحمر وصفر تتكلم بأي لغة تكون، فيها شجرة الكافور
2. جزيرة رامني وتنسب إليها عجائب كثيرة.
3. جزيرة الواق واق وهي جزيرة متصلة بجزيرة راتج، والاهتداء إليها يتم بواسطة النجوم، وسميت بهذا الاسم لان فيها أشجاراً يسمع من يمر بها صوتها كأنها تقول واق واق، وأهلها يفهمون هذا الصوت ويتطيرون منه، وهي جزيرة كثيرة الذهب.

4. جزيرة البنان وفيها أقوام عراة، ألوانهم بيضاء، ولهم جمال وحسن صورة.
5. جزيرة أطوران وهي جزيرة كبيرة يعيش فيها الكركدن ونوع من العظام، وفيها شجر الكافور(26).
6. جزيرة سبومة وهي جزيرة عظيمة كثيرة الزروع والحبوب، وفيها أنواع غريبة من الطيور، وبها نارجيل(جوز الهند)، وتتصل بهذه الجزيرة جزر صغيرة كثيرة، وملكها يسمى قامرون.

وهناك جزر كثيرة أخرى منها جزيرة المايد، وجزيرة الأيام، وجزيرة الموجة، وجزيرة صندي فولات، وملكهم يقال له رنبد، وجزيرة ثارة، وجبلا كسير، وجزيرة الدردور، وجزيرة أوبكين، وجزيرة المند، وجزيرة كولم ملى، وجزيرة سندان وغيرها من الجزر(27)، ومن المعلوم أن هذه الجزر موجودة، قسم منها بنفس الاسم، والقسم الآخر قد تغير أسمها

وتشير الإحصائيات الحديثة في "النّت أن عدد الجزر في الصين يبلغ زهاء 5400 جزيرة، أكبرها تايوان، ومساحتها بحدود 36000 كيلومتراً مربعاً، وتليها جزيرة هاينان.[28]

ج- الجبال:

تناثر في أرجاء الصين وعلى تخومها جبال وعرة، والرياح فيها عاصفة، وهي باب من أبواب الصين، وأبوابها اثنا عشر باباً، وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة يسار منها إلى موضع بعينه من مدائن الصين.[29]

ويذكر ابن كثير[30] أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالاً فاصلة بينها، وفيها فجاج تسلك المراكب بينها يسيّرها لهم الذي خلقها، كما جعل مثلها في البر أيضاً

وهناك مدن في الصين موجودة على الجبال، ومن هذه المدن مدينة كجا

وهي أيضاً خارجة عن الجبال المكتنفة للصين، ومدينة أطياش التي تقع على جبل منيع متحدِّرةً من الأتراك، ومنها إلى التبت عشر مراحل [31]، ويحكى من عجائب الأرض وأهلها حكايات عديدة، ومنها قنطرة موجودة بمدينة ختن معقودة على رأس جبل إلى جبل عقدها أهل الصين في سالف الدهر، ومنها جبل تبت ويقال له جبل السم، إذا مر به الناس أخذ بأنفاسهم، فمنهم من يموت ومنهم من ينغل لسانه[32]

وعلى أية حال لم تذكر المصادر أسماء الجبال الموجودة في الصين، إلاّ أن المسعودي [33] يذكر أن في الصين جبالا اسمها (النوشادر)، فإذا كنت في الصيف رأيت في الليل نيراناً ترتفع من تلك الجبال من نحو مئة فرسخ(480كيلومتراً)، وفي النهار يظهر منها الدخان لغلبة شعاع الشمس وضوء النهار ومن هنا يحمل النوشادر، فإذا كان أول الشتاء، فمن أراد أن ينطلق من بلاد خراسان ويسلك إلى بلاد الصين صار إلى ما هناك، وهناك واد بين تلك الجبال طوله 64000كيلومتراً تقريباً، ولا يسلك ذلك الطريق شيء من البهائم، لأن النوشادر يلتهب ناراً في الصيف فلا يسلك ذلك الوادي، فإذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والأنداء تقع في ذلك الموضع منطفئ حر النوشادر ولهيبه، أما المسافة من بلاد خراسان مروراً على ذلك الموضع إلى بلاد الصين فهي نحو 3840كيلومتراً، ما بين عامر وغير عامر ودماس ورمل

وتشير المعلومات في الوقت الحالي [34] إلى أن في الصين سبع قمم جبلية، ارتفاع كل منها (7000 متر) عن سطح البحر تقع داخل حدود الصين وعلى الخطوط الحدودية الصينية، وتنتشر على هضبة تشينغهاي ـ التبت التي تلقب (سقف العالم)ـ والكثير من الجبال الشاهقة، إذ يبلغ معدل ارتفاع سلسلة جبال هملايا (6000متر) عن سطح البحر، ويبلغ ارتفاع قمة جومولانغما(وهي قمة هملايا الرئيسية وتعد أعلى قمة في العالم) (8848.13 متر) عن سطح البحر.

5- **المدن**:

إن الصين بلاد مشهورة، حيث خصها الله سبحانه وتعالى بمميزات كثيرة، ووصفها القزويني[35] (أنها بلاد واسعة في المشرق ممتدة من الإقليم الأول إلى الثالث وعرضها أكثر من طولها، وقالوا إن فيها تنتشر ثلاثمائة مدينة في مسافة شهرين، وإنها كثيرة المياه كثيرة الأشجار كثيرة الخيرات وافرة الثمرات، وهي من أحسن بلاد الله وأنزهها، وأهلها أحسن الناس صورةً وأحذقهم بالصناعات الدقيقة، ولكنهم قصار القدود وعظام الرؤوس، لباسهم الحرير)

ويذكر ابن النديم [36] بأن للصين ثلاثمائة مدينة كلها عامرة، وعلى كل خمسين مدينة ملك معين من قبل البغبور(البغبور هو ملك الصين [37]، وفي كل مدينة من مدن الصين أربعة أمراء أحدهم يقال له (لانجون) ومعناه أمير الأمراء، والآخر يقال له (حراحية) ومعناه رأس الجيش وفي الموضع الذي فيه الصنم الأعظم وهو صورة البغبور.[38]

ويذكر صاحب كتاب كشف الظنون[39] ، أن الصين مع كثرة مدنها لم يقع إلينا من أخبارها إلا الشاذ النادر، ومع ذلك غير محقق، وكذلك إقليم الهند فإن الذي وصل إلينا من أخبارها مضطرب، ولكن العلم بالبعض خير من الجهل بالكل

ويذكر الادريسي[40] أن المدن الصينية التي تقع ضمن الإقليم الثاني هي طريغيوقن، وقطيخوراً، وكاشغر(وكاشغر *بفتح الكاف*) وهي من المدن العظام في تخوم الصين ضمن هذا الإقليم وخيغون، وأسقيريا، وأشقيرا، وبورا، وطوخا، وأطراغن، وقرنابول، وفي جهة بحر جزيرة أوريسين(وأوريسين مدينة صغيرة على الساحل والمذكور منها جزيرتها لأنها عظيمة المقدار)، وجزيرة سناسا[41]

ومدن الصين ضمن الإقليم الثالث تتضمنها أرض التبت وبعض أرض التغرغر وبعض أرض الخرلخية، وفي أرض التبت من القواعد المشهورة مدينة التبت، والشينخ، ووخان، والشقينة، وبروان، وأوج، ورمحاخ وذا الخوا ومن بلاد خاقان التغرغر مدينة خاقان وتسمى تنتبغ ومدينة ماشة وجرمق وباخوان، ومن مدن الصين الخارجة كجادارخون، ومن بلاد الخرلخية برسخان العليا ونواكت، وبها بحيرات مياه عذبة، وبلاد الصين الخارجة يليها مما يلي البحر الشرقي من بلاد التغرغر ومدينتها العظمى المسماة تنتبغ، وهي مدينة كبيرة ولها اثنا عشر باباً من حديد وأهلها زنادقة، ولها أجناد وحفظة وحصون وعمالة ويحيطها سور حصين [42]، وآخر مدن الإقليم الثالث من مدن الصين من جهة المشرق في الإقليم وجنوب الصين وفيها أربع مدن إحداها سطرويا، والثلاث منها خفيت أسماؤها

أما المدن التي على الساحل فأول مراقي الصين مدينة خانقوا وهي المرقى الأعظم، وتقع على خور يصعد إلى كثير من بلاد البغبوغ، ومن مدينة خانقوا إلى مدينة خانكو(وهي مدينة جليلة بديعة البناء بهجة الأسواق حسنة البساتين والرياض كثيرة الفواكه[43]، ومن مدينة لوقين إلى خانقوا مسيرة أربعة أيام في البحر، وعشرين يوماً في البر، وهي أعظم مراقي الصين.[44]

ويطلق على المدينة التي يسكنها الملك اسم خمدان، والغالب عليهم استدارة الوجوه، وفطس الأنوف، وشقر الألوان، وحصبة الشعور، وعامة لباسهم الحرير والديباج والفرو [45]، ويصعد نهر خمدان إلى مدينة خانقوا وخانكو وغيرهما من مراقي الصين المشهورة، ومن مدينة باجه إلى مدينة شذخو أربع مراحل، وتقع مدينة شذخو على نهر صغير، فأما نهر خمدان فإنه نهر عظيم وعليه عمارات.[46]

وعندما انتشر الإسلام في الصين أصبح في كل مدينة من مدن الصين

مدينة للمسلمين ينفردون بسكناها، ولهم فيها مساجد.[47]

ومن المدن الأخرى التي ذكرها ابن بطوطة [48] والتي مر بها خلال رحلاته مدينة الزيتون، وهو لقب مدينة خمدان(وتسمى الآن جوان شو)، وخانقوا وهي نفسها كانتون، ومدينة الخطأ هي الصين الشمالية(ومنها جاء الاسم القديم لبلاد الصين وهو كاثاي)، ومدينة الخنسا(وهي الآن هانغ جو

ويقسم الحميري[49] في معجمه مدن الصين كالآتي

1. مدينة أطراغي وهي مدينة كبيرة على بركة ماء عذب لا يوجد لوسطها قعر وماؤها مائل إلى الدكنة
2. أنكمردة(الشيلا أو السيلا) ويقال إنها اليابان الحالية، وهي مدينة من دخلها من المسافرين استوطنها ولم يرد الخروج منها، لطيب ثراها وكثرة خيراتها[50].
3. انموه وهي مدينة الملك ويقال إنها نفسها مدينة خمدان أو جمدان بينها وبين ساحل البحر الحبشي مسيرة 4320كيلومتراً[51].
4. باجة الصين ويقال إنها مدينة البغبوغ[52].
5. صينية الصين وهي مدينة تقع أقصى الصين لا تضاهيها مدينة في الكبر وكثرة العمران وسعة التجارات وكثرة البضائع[53].
6. قاشان وأهلها يحرقون موتاهم بالنار كما يفعل أهل الهند[54].
7. كاشغر وتم ذكرها سابقاً[55].

وهناك مدن أخرى تذكرها المصادر الجغرافية، ومنها (بطمغاج والمالق والختن وقالقوط وكيلوكري وكولم وأسبيجاب وبورا وقاقلا والدبواسية وبرج الحجارة وغيرها من مدن الصين)

وعلى كل حال فإن في الصين ثلاثمائة مدينة عامرة كلها، تسعون منها مشهورة[56]

المبحث الثاني

1. **السكان**:

أهل الصين هم شعوب وقبائل كقبائل العرب، من حيث تقسيماتها وأفخاذها وتشعبها في أنسابها، وهم يراعون ذلك ويحترمونه ويحفظونه، وينتسب الرجل منهم إلى خمسين أباً (وأكثر من ذلك أو أقل) إلى أن يتصل بعامور، ولا يتزوج أهل كل فخذ من فخذه، ومثال على ذلك أن يكون الرجل من مصر ويتزوج من ربيعة، أو من ربيعة ويتزوج من مصر، أو من كهلان فيتزوج من حمير أو من حمير فيتزوج من كهلان، ويزعم الصينيون أن في ذلك صحةً للنسب وقوام البنية، وأن ذلك أصح للبقاء وأتم للعمر[57].

وعندما حاول ملوك اليمن في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن اسفنديار غزو الصين سار بقبيلة حِمير العربية، وبعد فترة خلف في التبت اثنا عشر ألف فارس من حِمير، فهم أهل التبت، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب، وخلقهم وألوانهم خلق عرب[58].

ويذكر المسعودي[59] أن أغلب بلاد التبت(وهي مملكة متميزة من بلاد الصين) هم من قبائل حِمير العربية وفيهم بعض التشابه، فهم حَضَر وبدو وفي بواديهم يقطن الترك، وهذه البوادي لا تدرك لكثرتهم، ولا يقاومهم أحد من بوادي الأتراك، وهم معظمون من سائر أجناس الترك، لأن الملك كان منهم منذ قديم الزمان

ويقسم اليعقوبي[60] الأرض لأبناء نوح عليه السلام، فيذكر أن في ولد سام تسعة عشر لساناً، وفي ولد حام ستة عشر لساناً، وفي ولد يافث سبعة وثلاثون لساناً، فلما رأوا ما هم فيه اجتمعوا إلى فالخ بن عابر فقال لهم إنه لا يسعكم أرض واحدة مع افتراق ألسنتكم، فقالوا اقسم الأرض بيننا، فقسم الأرض لهم، فصار لولد يافث بن نوح (ع) الصين والهند والترك والخزر والتبت

والبلغر والديلم وما إلى أرض خراسان، وهكذا بقية أولاد نوح عليه السلام وهنا نستنتج أن سكان الصين الآتي

1. أبناء يافث بن نوح عليه السلام، وهم أصل السكان الصينيين
2. قبائل حِمير العربية.
3. التبابعة من اليمن.
4. الأتراك الذين هم بدو التبابعة.
5. ويُعتقد وجود قبائل فارسية مختلطة مع السكان الصينيين

ويعد المسلمون من ضمن سكان الصين الذين استوطنوا الصين فيما بعد إلى وقتنا الحاضر

وينقسم مسلمو الصين من حيث السلالة إلى شعبين كبيرين، هما الترك والصينيون، ويمكن تقسيم الشعبين أيضاً إلى فروع عدة، وهناك أخبار عديدة عن صلات العالم الإسلامي بالصين، إلا أن المصادر التي تذكر هذه الصلات لم توضع على محك النقد، وكانت الصين في نظر الجغرافيين العرب هي أرض المجهول والأسرار لا يجرؤ على أن يجوس خلالها إلا أشجع الشجعان، أما روايات مسلمي الصين ذاتهم عن اتصالاتهم الأولى فهي روايات خاطئة، وإن كانت قد سجلت في نُصبٍ كثيرة من الحجارة، وتدور هذه الروايات حول الصحابي المشهور سعد بن أبي وقاص(رض) وقد جعلته إحدى هذه الروايات خال النبي(صلى الله عليه وسلم) ، وتقول الروايات أن قبره يقع في كانتون ويحج إليه الناس، في حين تشير وقائع التأريخ أن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص لم يزر الصين قط، وأن أقدم وثيقة تتحدث عن بداية الإسلام في الصين (وهي لوحة منقوشة في مسجد سنكفر الجامع) تشير أن هذا المسجد شيد في السنة الأولى من حكم تعيين باوا، أي سنة 742 هـ، ولا شك أن الإسلام تبعاً لهذه الرواية قد عرف في الصين على عهد الإمبراطور كاي هوانغ من أسرة سوي(581 هـ

1161 م)، ومن جانب آخر فإن الروايات التي تتحدث عن بداية دخول الإسلام إلى الصين لا يمكن أن تكون جميعها صحيحة، وتعليل ذلك هو أنه في سنة (753 هجرية) الموافق سنة (1351 م) تم اقتراح العمل بأسلوب جديد، فتم اعتبار السنوات السبعمائة وثلاث وخمسين سنواتٍ صينية(أي سنوات شمسية)، ومن ثم تم إنقاص جميع التواريخ السابقة 23 أو 24 سنة، ومهما يكن فإن النقش يحتوي على تزييف ملموس، ولعله أقيم عندما جرى إصلاح المسجد المذكور، وليست الروايات الصينية التي نجدها في تواريخ الأسر الصينية بأكثر حجيةً من الروايات الصينية الإسلامية، فقد حفلت هذه الروايات أيضاً بالقصص التي تأثرت تأثراً كبيراً بالنزعة القومية، وقد تم جمعها، وشابها ما عهد في الصين من الافتقار إلى الحكم القائم على النقد، ومع ذلك فلا ينبغي أن تهمل كل الأعمال.[61]

وجاء ذكر بلاد العرب في تأريخ أسرة تانغ في كتاب (تانغ الجديد) وهما مؤلفان لكتابي التأريخ لهذه الأسرة التي حكمت زهاء ثلاثة قرون (618 ـ 906 م) أي قبل ظهور الإسلام بأربع سنوات حتى العصر العباسي، وذلك أن أسرة تانغ وصلت إلى الحكم بعد البعثة النبوية الشريفة ببضع سنوات، واستمرت في الحكم حتى عهد الخليفة المكتفي بالله العباسي، أي حتى عام 294هـ ـ 906 م، وكان وصول الإسلام إلى الصين بحراً أسبق من وصوله براً، لأن التجارة البحرية التي بدأت ساعدت على إيصال الإسلام إلى موانئ الصين التي كان العرب يترددون عليها ولو بصفةٍ غير رسمية، ومن المدن التي دخلها الإسلام في عهد تانغ مدينة جانغ إن، عاصمة الصين حينذاك في عهد الإمبراطور يونخوي عام 651 م (30 ـ 31 هـ)، أبان خلافة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، وهذا أول وفد عربي إسلامي يصل إلى عاصمة الصين، ولعل الوفد انطلق من آسيا الصغرى وليس من المدينة المنورة، وقد ازدادت معارف الصينيين بالإسلام

وكانوا يسمون بلاد العرب باسم تاشي(وهي لفظة محرفة من كلمة الطائي)، ويرى الباحثون أن الصينيين كانوا يطلقون على المسلم لفظة داش(بمعنى التاجر)، لذا جرت العادة على تسمية كل مسلم بالتاجر.[62]

ويرجع دخول الإسلام إلى الصين إلى ما قبل أكثر من 1300 سنة، وكانت فترة انتشار الإسلام الأولى في عهد أسرة تانغ(618 ـ 906 م)، ثم توافد عدد كبير من تجار العرب على الصين بغرض مزاولة التجارة، فجاءت إلى الصين أعداد متزايدة من المسلمين العرب واستوطن بعضهم في الصين، وهناك عدد من شواهد القبور المنقوشة بالعربية ما يزال موجوداً حتى يومنا هذا في بعض أنحاء الصين، مثل مدينة فوتشو، ومدينة تشيوأنتشو، وهي مدينة الزيتون كما أسماها الرحالة العربي ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (وتسمية الزيتون محرفة عن اللفظ الصيني زي تونغ، وهو نوع من الشجر كان ينمو بكثرة في هذه المدينة حسب رواية المترجم)

ونستخلص مما سبق أن الصين دولة متعددة القوميات تعيش على أرضها الكثير من الأقليات القومية، بالإضافة إلى قومية هان التي تشكل الأغلبية الساحقة من سكان الصين، وهي كذلك دولة متعددة الأديان [63]، ويقول ابن بطوطة[64] ، إن مناطق متعددة في الصين زارها ونزل فيها ضيفاً على تجمعات إسلامية، ووصف حياة المسلمين هناك وصفاً دقيقاً يقول فيه أن المسلمين يسكنون في مدنٍ كثيرة من مدن الصين، وينفردون في هذه المدن بأحياء خاصة بهم، ولهم فيها مساجد لإقامة صلاة الجمعة ولإجراء اللقاءات المختلفة، والمسلمون في الصين معظمون محترمون من قِبل سائر السكان[65]

ويضيف ابن بطوطة إن المسلمين لهم في إحدى المدن مسجد جامع وعدد من الزوايا ولهم سوق رائجة، ولهم قاض وشيخ يرجع إليه المسلمون في كل أمورهم، ويتحدث ابن بطوطة أيضاً عن مدينةٍ اسمها الخنساء، ويقول إنها على

اسم الشاعرة العربية، وإنها مدينة لم يرَ مثلها في الحجم، وهي مقسمة إلى ست مدن، ويقول أنه عندما وصلها استقبله قاضيها وشيخ الإسلام فيها وأولاد عثمان بن عفان المصري وهو من كبراء المسلمين فيها[66].

ويذكر توماس آرنولد [67] أنه عندما توفي يزدجرد آخر ملوك الفرس الساسانيين استنجد فيروز بإمبراطور الصين لينصره على العرب، ورفض الإمبراطور مساعدة الفرس، وأرسل سفيراً إلى الجزيرة العربية يتعرف على مدى قوة الدولة الجديدة، وكان ذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) فأحسن الخليفة استقباله، وأرسل معه إلى إمبراطور الصين سفيراً من العرب، فأكرم الإمبراطور وفادة أول سفير للمسلمين،وعلى هذا فإن الإسلام وصل إلى الصين في عهد مبكر جداً، وقد أقام المسلمون في الصين مستوطنة عربية في خانقو(وهي إحدى المدن التي جذبت التجار العرب والفرس منذ القرن الثامن الميلادي وكان لهم إمام يصلي بهم ويقضي بينهم) وفي مدينة كانتون(بوابة الصين البحرية والمركز التجاري الشهير) عاش عدد كبير من المسلمين وأقاموا مسجداً كبيرا كان اسمه مسجد (ذكرى النبي)، كما كوّن المسلمون جاليات في (إن نشوء) وفي (هانج تشو) وغيرهما من المدن والمناطق[68].

وفي فترة أو عصر المغول في الصين وتحديداً في فتره قبلاي خان إمبراطور الصين للفترة(1217ـ 1249م) اختار بكين عاصمة لإمبراطوريته، وعين عالما مسلما وهو شمس الدين عمر في وظيفة عالية أتاحت له أن ينشر السلوك الإسلامي والاتجاهات السياسية في المنطقة، وكان شمس الدين يلقب السيد الأجل، وقد استطاع حفيده أن يحصل من إمبراطور الصين المغولي سنة 1335 م على الاعتراف بأن الإسلام هو دين الحق الخاص، وقد تسبب ذلك في انتشار الإسلام بين الكثير من الصينيين[69].

ويذكر رشيد الدين مؤرخ المغول أن الإمبراطورية المغولية كانت منقسمة إلى اثنتي عشرة ولاية، وكان لثمانية منها حكام مسلمون، وهذا يوضح مدى نفوذ المسلمين ابان هذا العصر.[70]

2. **الديانة**:

قال الصينيون قديماً إن إله السماء كائن عظيم، محبٌ للخير ويكره الشر ويجازي الناس بأعمالهم، وكانوا لا يؤمنون بأية قوىً خبيثة في هذا العالم، وجاء بعد ذلك طور التغير الفكري تحت إيحاء التخريج والتغيير، وبمرور الأيام وتداول الأعوام تغيرت الأفكار فأضافوا إلى هذا الإله الواحد كثيراً من مظاهر الطبيعة، كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض وما عليها من جبالٍ وتلال وما يجري فيها من بحارٍ وأنهار، ثم تطورت معتقداتهم فاعتقدوا بوجود كائنات روحية تسكن البيوت، لها القدرة على النفع والضر، فقدموا لها القرابين، وكانوا أيضاً يعبدون أرواح أسلافهم، وتحول الإله العظيم الواحد إلى عدة آلهة.[71]

وشهدت الصين في القرن السادس قبل الميلاد حكيمين شهيرين، هما الحكيم لاءوتسي(وينطق اسمه أحياناً لوتس)، والحكيم كونغ فوتسي(وينطق أيضاً كونفوشيوس)، فعاش الأول زهاء خمسين سنة تقريباً، وكان يدعو للقناعة والزهد والتسامح المطلق، وكان الثاني يدعو إلى العدالة والاستقامة، وكان باحثاً في الحكمة، وقد تناولت بحوثه الحكمة والسياسة والأخلاق والمرأة، ولهذا كلفه الإمبراطور بتطبيق أفكاره في السياسة والأخلاق في سائر الولايات، ومكنه من ذلك بأن جعله وزيراً، وشهدت الصين بداية تقدمٍ ملحوظ في المجالين الأخلاقي والعمراني في تلك الفترة

ومن نتائج هذه العلاقة الطيبة بين كونفوشيوس والإمبراطور أن أبقى كونفوشيوس على الأعراف الصينية التي تقضي بتقديس الإمبراطور والسجود

له ولصورته المعلقة في الأماكن المختلفة.[72]

وقبل التحدث عن كونفوشيوس كانت هناك فترة سبقته (وتسمى فترة ما قبل كونفوشيوس)، حيث أن مدينة شانج(Shang) كانت عاصمةً لملوك شانج حوالي سنة 1400 ق.م، وكانت مركزاً لحضارةٍ متقدمة، والدليل على ذلك المباني الضخمة والأواني البرونزية الجميلة والمنسوجات الحريرية متقنة النسج وأشياء أخرى كثيرة، وكان هناك في شانج أناسٌ مثقفون ثقافة عالية، غزاهم سنة 1122 ق.م أفراد قبائل حفاة من الصين الغربية، وكانت تقود الغزاة فرقةٌ تعرف باسم (فرقة تشو)، على اسم قائدها فأسسوا أسرة تشو الشهيرة، وبعد فترة مات الملك تشو وخلفه ابنه، وكان صغيراً لذا بدأت مملكته بالتمزق وسلطانه بالأفول لولا تدخل عم الملك، (وكان يطلق عليه دوق تشو، وعاش قبل كونفوشيوس بعدة قرون)، وكان الصينيون يبجلونه على اعتباره مؤسسا للتقاليد الكونفوشيوسية، وكان البعض يعتبرونه أسمى مرتبةً من كونفوشيوس نفسه

ولد كونفوشيوس سنة 551 ق.م، في ولاية (لو) الصغيرة، وكان موقعها هو نفسه موقع شانتونج الحالية، وكان كونفوشيوس أحد الرجال القليلين الذين تركوا أثراً عظيماً في التأريخ وخاصةً في الصين، ولم يكن كونفوشيوس مسالماً في جميع الأحوال، فقد كان يؤمن بأن هناك أوقاتا يجب أن يلجأ ذوو الأخلاق إلى القوة كي يحموا أنفسهم والعالم من العبودية.[73]

وقد أوضح كونفوشيوس الأسس والمبادئ التي دان بها واعتقدها وأمد بها الكثير من أهل الصين، وقد عمل على نشر مذهبه بكل ما أوتي من جهد ووسائل وإمكانيات، وكان يتنقل من ولايةٍ إلى أخرى مبشراً بهذا المذهب حتى مات في سن الثالثة والسبعين.[74]

مذهب كونفوشيوس:

وجد كونفوشيوس قومه غارقين في بحرٍ من الأوهام، عاكفين على التفكير في عالم الأرواح، وجل همهم تقديم القرابين وإقامة الشعائر الدينية لإرضاء أرواح أسلافهم، باحثين عما يرضي قوى الطبيعة عنهم، فالسماء لا تمطر لأن الإلهَا غاضبٌ عليهم، والكواكب لا تظهر لأنها غير راضيةٍ عنهم، والشمس في كسوف لأن أهل الأرض عصاة، وبهذا انصرفوا عن الحياة انصرافاً تاماً، وأصبح الشعب متكاسلاً غاية التكاسل مما أدى إلى توقف عجلة الحياة

وانطلاقاً من تلك الظروف خرج عليهم كونفوشيوس بمذهبه فدعى إلى أن يعرف كل إنسان ما له من حقوق وما عليه من واجبات، ومعرفة دور الفرد في المجتمع وواجباته تجاه مجتمعه وحقوقه في ذلك المجتمع، وفرق كونفوشيوس بين العبادةِ والعمل، ودعى أهل الصين للعلم، وبذلك اعتبر أحكم حكماء الصين ومؤسس الديانة الصينية، وأجمع الصينيون على عبادته وتقديس تعاليمه وحكمه، وأصبحت الكتب الثلاثة التي تركها بعد موته والتي كتبت بخط تلاميذه كتباً مقدسة، حتى اعتبرت فيما بعد دستور الصين، وهذه الكتب هي

1. مختارات كونفوشيوس
2. تعاليم البالغين.
3. الاعتدال[75].

وعلى أية حال فإن الكونفوشيوسية ليست الديانة الوحيدة في الصين، بل هناك الكثير من الديانات الأخرى، كالديانة الداوية، والديانة البوذية، والإسلام، والمسيحية، وغيرها من الديانات.[76]

البوذية وتأثيرها على السياسة والحياة الاقتصادية والثقافية:

أُدخلت البوذية إلى الصين خلال أو قبل دا يوي داي في بداية عصر المسيحية تقريباً، ثم انتشرت تدريجياً خلال فترة حكم سلالة هان الشرقية، وخلال فترة الممالك الثلاث كانت دراسة الميتافيزيقيا(ما وراء الطبيعة) رائجة جداً في فترتي واي وجين، ولقد انتشرت البوذية في وسط المثقفين ضمن دراستهم للميتافيزيقية .

وباتجاه نهاية فترة جين الشرقية أصبحت البوذية مرتبطة بطقوس كونفوشيوس والتي سيطرت على مجتمع الإقطاع، ولقد كانت أفكار البوذية فيما يخص التناسخ والثواب والعقاب مقبولةً بشكلٍ واسع، وتعزز نفوذ الطبقة الحاكمة من خلال الربط بين طقوس الإقطاعية والبوذية

إن انتشار البوذية قلل من شأن الطاوية(الديانة الصينية)، حيث فقدت الطاوية أرضيتها في المناظرات التي تجري بين أتباع المعتقَدَين، كما تطورت المناظرات بين طلاب الكونفوشيوسية والبوذية، وخلال فترة حكم الإمبراطور (ووداي) (502ـ 546م) من سلالة ليانغ، قدم فان زهين (وهو أحد طلاب كونفوشيوس) نظريته التي تقول أن الروح تولد من الجسد، وعندما يموت الجسد تذهب الروح معه، وقد عارض فان زهين مبدأي التناسخ والثواب والعقاب

لقد كانت الطبقة الحاكمة في السلالات الجنوبية عاجزة عن مواجهة المشاكل المعاصرة، وكانوا يحتاجون إلى نشر تعا ليم البوذية لعزائهم الروحي ومن أجل المحافظة على هدوء الناس، وكان (وو داي) الذي كان يعتبر واعظ البوذية مهمته الرئيسية الانعزال في معبد بوذي حيث يكون مبتدئاً أو ناشئاً

وخلال فترة سلالة ليانغ كان في منطقة جيان كانغ وحدها 500 دير بوذي، تؤوي 100.000 راهب وراهبة، وقد احتلت هذه الأديرة مساحاتٍ كبيرةً

من الأراضي، كانت تقدم كصدقة، أو يتم احتلالها بالقوة، وكان هؤلاء يفكون الرهن ويقرضون المال، ولقد استغلوا الضعفاء من خلال وضع فوائد كبيرة على القروض وبهذا أعاق تأثير البوذية نمو الاقتصاد الاجتماعي في الجنوب

وقد ازدهرت البوذية في الشمال أيضاً، ويعود الفضل في ذلك إلى الطبقة الحاكمة بالطبع، وفي عام 446م حاول حكام واي الشمالية قمع البوذية وكهنتها لأجل الطاوية(ديانة الصين)، ودمروا أصنام البوذية، لكن البوذية نجت ثم انتشرت بشكلٍ واسع إذ قام الحكام الشماليون بصرف أموال طائلة على إعادة بناء المعابد وترميم الأديرة

وأظهرت السجلات بأنه كان هناك ما مجموعه 30.000 معبد ودير، وأكثر من مليوني راهب في كل الشمال، ولقد كانت الظروف في فترتي كي الشمالية وزهو الشمالية هي نفس الظروف في فترة واي الشمالية، حيث احتلت المعابد والأديرة مساحاتٍ شاسعة واستعبدت الفلاحين

وكانت عوائل الفلاحين التي ترسل القرابين من الحبوب إلى المعابد والأديرة توصف على أنها أُسر تابعة للبوذية، أما الذين يحرثون ويزرعون الأراضي التابعة للمعابد والأديرة والذين يمارسون مختلف الأعمال الخدمية فكان يُطلق عليهم أُسر البوذية، ولقد استهلكت المعابد والأديرة حصة كبيرة من ثروة المجتمع، ومثل ما كان موجوداً في الجنوب فقد كان في الشمال أصحاب أراض كبار ومرابون أيضاً، وقد أدت هذه الأوضاع والقضايا إلى مصادرة أملاك المعابد والأديرة وذلك في عام 574م من قِبل وو داي من زهو الشمالية (561 - 578م)، وكان هو نفسه من أمر الرهبان بالعودة إلى الحياة الدنيوية

وصنعت فنون النحت والرسم بالترافق مع البوذية تقدماً كبيراً، وتعود كهوف بوذا الألف في دون هواتغ والتي بدأت في عهد سلالة ليانغ الأولى،

والكهوف الصخرية في بنغ لتغ، والكهوف في ما يجي شان، والكهوف الصخرية في يان كانغ ولونغ مين، إلى فترة واي الشمالية، وتعتبر هذه الكهوف الآن جزءاً من كنز الصين التأريخي للثقافة

وجلب تقدم البوذية معه نوعا جديدا من الموسيقى والرقص والأدوات الموسيقية وفن العمارة، وإن ترجمة الـ(sutras) البوذية إلى الصينية قد أغنت اللغة الصينية، وقد اكتسب مذهب الطاوية تحت تأثير البوذية نظاماً نظرياً أكثر شمولية.[77]

الداوية:

تسمية مشتقة من لفظة (داو) وهي قد تعني اللّه، أو قد تعني التفكير أو الامتناع عن التفكير، ونشأت العقيدة الداوية جنباً إلى جنب مع الكونفوشيوسية، وفي نفس الفترة التي بدأت فيها البوذية بالانتشار في الهند، ومؤسس هذه العقيدة هو (لاوتسي)(والتسمية معناها الفيلسوف العجوز) في القرن السادس قبل الميلاد، وفي التسعين من عمره كتب كتابه المسمى (العقل والفضيلة) فأصبح كتاباً مقدساً لطائفة من الصينيين دعيت فيما بعد بالداوية

ويرى لاوتسي عكس ما يراه كونفوشيوس، إذ يمكن تلخيص هذه العقيدة بأنها الميل إلى السكون والهدوء والاستسلام للطبيعة الأولى حيث ان الحضارة الجديدة عقّدت الحياة بمخترعاتها وكتبها وفلسفتها فنشأ عن ذلك ما أصاب الناس من بؤسٍ وشقاء، لذا لا بدّ للمرء من أن يعود إلى الطبيعة بعيداً عن كل ما هو جديد من أمور

وبعد وفاة لاوتسي ذهب أتباعه إلى تشويه أفكاره وتحريفها، وذلك بأن حوّلوها إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها في حكمه وأقواله، وبدأوا يؤلهون كل شي في الطبيعة حتى الفئران والثعابين، وآمنوا بالشياطين والجن والأرواح الشريرة، ثم تحول الناس بعد فترة من وفاته إلى عبادته هو، جاعلين منه

إلهاً فبنيت له المعابد في الكثير من مدن الصين.[78]

ويذكر المقدسي [79] أن أهل الصين هم عبدة أصنام، ويؤيد ذلك ابن بطوطة[80] بقوله (إن أهل الصين كفار يعبدون الأصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهند)

وتذكر المصادر أن أغلب أهل الصين يدينون بالديانة الثنوية والديانة السمنية، وعامتهم يعبدون الملك ويعظمون صورته

والديانة السمنية فرقتان، الأولى يزعم أصحابها أن البدأ كان نبياً مرسلاً، في حين يزعم أنصار الفرقة الثنوية أن البدأ هو البارئ وقد ظهرا للناس في تلك الصورة، وهم يسجدون للشمس والقمر والكواكب والماء والنار، وكل ما يستحسنوه من شيء خروا له سجداً، وأما التغرغر فهم نصارى.[81]

وللصين عبادات أخرى مثل السينية والكونفوشيوسية والطاوية والبوذية الصينية.[82]

وبهذا يمكن إجمال ما يعبدون بما يلي

1. الكونفوشيوسية
2. البوذية.
3. الداوية.
4. عبادة الأصنام.
5. الثنوية.
6. السمنية.
7. عبادة الشمس والقمر والكواكب والسماء والأرض والماء والنار.
8. عبادة ملوكهم وصور ملوكهم

ومن الصين انتقلت هذه المبادئ إلى اليابان، حتى أصبحت العائلة المالكة في اليابان آلهة وأعظم الآلهة هو الإمبراطور[83].

3. **اللغة**:

تعد اللغة الأداة الثقافية الفعالة في أي مجتمع من المجتمعات، تؤثر وتتأثر بطبيعة التطور الحضاري الذي يصيب المنطقة، إذ تواكب هذا التطور وتعايشه في المجالات العلمية والأدبية كافة

وقبل الولوج في اللغات الصينية (لأنها لم تكن لغة موحدة) فإن قلم الصين(الكتابة الصينية) ليست سهلة، ويصفها ابن النديم بقوله (الكتابة الصينية تجري مجرى النقش يتعب كاتبها الحاذق الماهر فيها، وقيل أنه لا يمكن لخفيف اليد أن يكتب أكثر من ورقتين أو ثلاث، وبها يكتبون كتب دياناتهم وعلومهم في المراوح، وقد رأيت منها عدة وأكثرهم ثنوية أو سمنية ..)

وفي الكتابة الصينية تكتب كل كلمة بثلاثة أحرف وأكثر من صورة واحدة، ولكل كلام يطول شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة، فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مئة ورقة كتبوه في صفحةٍ واحدة بهذا القلم.[84]

ويروي ابن النديم[85] أن محمد بن زكريا الرازي يقول (قصدني رجل من أهل الصين فأقام بحضرتي نحو سنةٍ، تعلم فيها اللغة العربية كلاماً وكتابةً في مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحاً حاذقاً سريعاً في الكتابة، فلما أراد الانصراف إلى بلده قال للرازي قبل ذلك بشهر أني علي الخروج وأحب أن يملى علي كتب جالينوس الستة عشر لأكتبها، فقلت لقد ضاق عليك الوقت ولا يفي زمان مقامك لنسخ قليل منها، فقال الفتى أسألك أن تهب لي نفسك مدة مقامي وتملي علي بأسرع ما يمكنك فإني أسبقك في الكتابة، وبالفعل حصل ذلك، فكان سريعاً جداً، وأوضح الصيني بأن لهم طريقة في الكتابة تسمى الكتابة بالمجموع، ومداد أهل الصين يُرَكِّبونه من أخلاط يشبه الدهن الصيني، وهو على مثال الألواح مختوماً، وعليه صورة الملك تكفي القطعة منه الزمان الطويل مع مداومة الكتابة.)[86]

ويذكر الحموي[87] (أن قسماً من أهل الصين يتكلمون العربية القديمة ولا يعرفون غيرها ، ويكتبون بالحميرية ولا يعرفون قلمنا)

وفي رأي آخر يذكر أن انتشار اللغات الآرية من السهوب المنخفضة في داخل آسيا إلى أوربا وفارس والهند وإلى جنوب روسيا ، فإنه ليس هناك ما يدل على حدوث مثل ذلك في الصين، وليس من المؤكد أن تكون لغة شانج مثلها مثل الخزف وغيرها من المعالم الحضارية قد اشتقت من الشعب الذي صنع الفخار الأسود ، وإن كان هذا أمراً محتملاً قياساً على مرحلة ما ورثته الصين في أيام شانج، وقد تطورت لغة شانج بعد ذلك ونمت وأصبحت اللغة الصينية ، وقد عُرف عنها في النقوش التي تركها الكهنة فوق القواقع وظهور السلاحف رداً على أسئلةٍ كان يلقيها الملوك على الكهنة.[88]

وكان أهل الصين في الفترات المتأخرة يعدّون اللغة الفارسية لغة الحديث المهذب، وأن الصينية التي كانوا يكتبونها (وخاصةً مسلمو الصين) كانت تختلط اختلاطاً قوياً بالكلمات الفارسية ، أما ذلك الخليط الذي نجده في لغتهم فمرجعه على الأرجح إلى أن الأمم الهمجية وشبه الهمجية التي كانت تنزل آسيا الغربية كانت تحترم اللغة الفارسية احتراماً يفوق التصور ، ومن المعروف أن الفارسية كانت لغة البلاط واللغة الرسمية في دول آسيا الوسطى والدول الهندية.[89]

ولسان الصين مخالف لسائر الألسنة ، وكذلك لسان التبت.[90]

الخاتمة

ويمكن إيجاز أهم النتائج التي تم التوصل إليها بالآتي

1. نظراً لسعة مملكة الصين وتنوع سطحها وتضاريسها واحتوائها على مدن وأقاليم شاسعة لذا فإن مناخ أقاليمها متنوع بتنوع هذه الأقاليم وبتنوع تضاريسها، ففيها الجبال والسهول والوديان والبحار، ولذلك فإن قسما منها مناطق حارة، إلا أن معظم أقاليم الصين تقع ضمن المنطقة المعتدلة والمناطق شبه المدارية، ويقع جزءٌ منها في المناطق المدارية جنوباً، أما شمالها فيقترب من المناطق ا لمتجمدة.
2. سكان الصين قبائل تشبه القبائل العربية، من حيث تقسيماتها وأفخاذها وتشعبها في أنسابها، وهم يراعون ذلك ويحترمونه ويحفظونه، وبذلك فإن سكان الصين هم أبناء يافث بن نوح(ع)، وهم أصل السكان الأصليين، واستوطنت معهم قبائل حِميَر العربية نتيجة الغزو الذي قام به ملوك اليمن لهم ومعهم من الأتراك الذين هم بدو التبابعة، ويُعتقد وجود قبائل فارسية مختلطة مع السكان الصينيين.
3. في الصين عبادات وأديان متعددة، مثل السينية والكونفشيوسية والطاوية والبوذية والداوية والثنوية والسمنية والإسلام والمسيحية، ونستخلص مما سبق أن الصين دولةٌ متعددة القوميات تعيش على أرضها الكثير من الأقليات القومية والعرقية .
4. إن أهم المواقع الحضارية للصين كانت تتميز بمواقع جغرافية مهمة وممتازة، إذ كانت تقع في وسط سهول اللوس الخصبة على الضفة الشمالية الغربية لنهر هوانج وعلى مسافة تقدر بثلاثمائة ميل جنوب بكين، بمعنى أن النهر كان يحميها من الجانبين بينما كانت تحيطها من الغرب سلسلة من الجبال تمدها بالأخشاب اللازمة للبناء، وهكذا

هيأت البيئه الظروف   الملائمة لقيام وتطور مدينة غنيه وغيرها من المدن التي تشكل الحضارةالصينية .

مصادر البحث:

1. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، مطبعة المثنى(بغداد 1986م)، ص 288
2. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان ط2 مطبعة دار بيروت، (بيروت ـ 1995م) ج3 ص 440.
3. الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت 666هـ)، مختار الصحاح، مطبعة دار الرسالة(الكويت ـ 1983م) ص 374
4. ابن رستة: ابن علي أحمد بن عمر بن رستة، الأعلاق النفيسة ويليه كتاب البلدان لأحمد بن واضح اليعقوبي، مطبعة دار صادر ومطبعة بريل(ليدن 1893م)، صفحة 97.96، المقدسني مطهر بن طاهر(ت ـ 507هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة ـ بلا ت)، ج4، ص 50.49
5. ابن جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ط1 مطبعة دار الفكر (بيروت ـ ـ 1988)، تحقيق د سهيل زكار، ص 444.443
6. ابن الوردي زين الدين عمر بن المظفر(ت ـ 749هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط2، مطبعة الحيدرية(النجف ـ1969م) ج1 ص 113
7. القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، مطبعة دار صادر(بيروت) ص 53
8. المروزي شرف الزمان طاهر المروزي، طبائع الحيوان، أبواب منتخبة منها أبواب الصين والترك والهند(لندن ـ1942) ص 16
9. السمرقندي النظامي العروضي، جهار مقالة، نقله إلى العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر، (القاهرة ـ 1949م) ص 96

10. الادريسني أبو عبد الله محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، مطبعة عالم الكتب(بيروت ـ1989م)، ج1، ص9

11. ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفي حدود سنة 30هـ)، المسالك والممالك، ويليه كتاب الخراج وصناعة الكتاب لقدامة بن جعفر، مطبعة بريل(ليدن ـ 1889م) ص 98ـ99

12. الخشاب الدكتور توفيق حسين الخشاب، آسيا، ط 1، مطبعة العربية (بغداد ـ 1964م) ص 140

13. المقدسني طاهر بن مطهر(ت ـ 507هـ)، البدء والتاريخ، مط الثقافة الدينية(القاهرة ـ بلا) ، ج4 ص 62.61

14. www.China.org، com، P.3.

15. القزويني زكريا بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط1، مطبعة دار إحياء التراث العربي(بيروت – 1989م) ص 78

16. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت سنة 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ص 155ـ154

17. الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت سنة 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط4 مطبعة دار الكتاب العربي(بيروت ـ 1405هـ) ج6 ص 7ـ8

18. الإدريسني أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، مطبعة عالم الكتب(بيروت ـ1989م)، ج1، ص9

19. الإدريسني المصدر نفسه، ج1 ص 87

20.الإدريسني المصدر نفسه، ج1 ص 209

21.الإدريسني المصدر نفسه، ج1 ص 210

22.الإدريسني المصدر نفسه، ج1 ص 213ـ214

23.الإدريسني المصدر نفسه، ج1 ص 207

24.أدم متز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة دار الكتاب العربي(بيروت ـ 1967م)، ط4، ج1، ص2،409

25.(25)www.China.org، com، P.2.

26. القزويني عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص 76ـ80

27.الإدريسني المصدر السابق، ج1 ص 213ـ214

28.(28)www.China.org، com، P.2.

29. الإدريسني المصدر نفسه، ج1 ص 89

30.ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت ـ 774هـ)، البداية والنهاية، مطبعة مكتبة المعارف(بيروت ـ بلا ت) ج1 ص 89

31.الإدريسني المصدر السابق، ج1، ص 511

32.المقدسني البدء والتاريخ، ج4 ، ص 92

33.المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين(ت ـ346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مط(بلا مكان ـ بلات)، ج1 ، ص 156

34.www.China.org، com، P.2.

35. زكريا بن محمد بن محمود آثار البلاد وأخبار العباد، مطبعة دار صادر(بيروت) ص53

36.ابن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج(ت ـ385هـ)، الفهرست، مطبعة دار

المعرفة(بيروت ـ1978م)، ج1، ص491

37.ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور(ت ـ 711هـ) لسان العرب، ط 1 مطبعة دار المعرفة(بيروت ـ بلا ت) ج4 ، ص 73 0

38.ابن النديم الفهرست، ج1، ص491

39.الحنفي مصطفى بن عبد الله الرومي(ت ـ 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة دار الكتب العلمية(بيروت ـ 1982م) ج1، ص468

40.الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص 199

41.ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت ـ 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د إحسان عباس، مطبعة دار الثقافة (بيروت ـ1968م) ج 1، ص 5ـ157

42.الإدريسي المصدر السابق، ج1، ص 510ـ511

43.الإدريسي المصدر نفسه، ج1 ، ص 97

44.الإدريسي المصدر نفسه، ج1 ، ص 84

45.المقدسي البدء والتاريخ، ج4، ص 61

46.الإدريسي المصدر السابق، ج1 صفحة 213

47.ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق د علي المنتصر الكتاني، ط4، مطبعة مؤسسة الرسالة(بيروت ـ1405هـ) ج2 ، ص 718

48.ابن بطوطة المصدر السابق، ج2 ، ص 717ـ740

49.الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس ط2 مطبعة هيدليرغ(لبنان)، ص 28

50.الحميري المصدر نفسه، ص 40

51.المصدر نفسه، ص 41
52.الحميري المصدر نفسه، ص 75
53.الحميري المصدر نفسه، ص 377
54.الحميري المصدر نفسه، ص 450
55.الحميري المصدر نفسه، ص 492
56.أحمد الشيناوي وآخرون دائرة المعارف الإسلامية، مطبعة دار الثقافة العربية للطباعة(القاهرة ـ بلا ت)، ج14، ص 40
57.الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 371
58.الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(ت ـ 310هـ)،تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت ـ بلا ت) ج1، ص 331ـ332
59.المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص 157
60.اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليعقوبي، مطبعة دار صادر(بيروت ـ بلا ت) الجوهر، ج1، ص 20
61.الشيناوي وآخرون دائرة المعارف الإسلامية، ج14 ص460 ـ 461
62.الداقوقي .أد حسين علي، محاضرات ألقيت في كلية التربية ابن رشد على طلبة الدكتوراه في التأريخ الإسلامي، ص.1
63.تشونينغ القوميات المسلمة في الصين، ترجمة هواوي تشينغ، ط 1، دار الكتب الإسلامية في الصين(بكين 1988)، ص.1
64.ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة، ج2، ص194
65.ابن بطوطة المصدر نفسه، ج2،ص 199
66.ابن بطوطة المصدر نفسه، ج2، ص 20
67.توماس أرنولد الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط2، مطبعة النهضة المصرية(القاهرة ـ 1957م) ص 332

68.بدر الدين الصيني تأريخ المسلمين في الصين، ص 16 ـ 17
69.توماس آرنولد الدعوة إلى الإسلام ص 335
70.محمود محمد زيتون الصين والعرب ص 23 نقلاً من شلبي أحمد ،
موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية(القاهرة ـ 1983)، ط1 ،
ج8 ، ص609
71.الهاشمي محمد فؤاد ، الأديان في كفة ميزان، مطبعة دار الكتاب
العربي(مصر)، ص 27
72.أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط 1 ، مط
مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ـ 1983)، ج8، ص 604
73.هـ.ج كريل الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج،
ترجمة عبد الحميد سليم، مراجعة علي أدهم، مطبعة الهيئة المصرية العامة
للتأليف والنشر(مصر ـ 1971) ص 23 ـ 46
74.الهاشمي محمد فؤاد ، الأديان في كفة ميزان، ص 27
75.الهاشمي محمد فؤاد ، الأديان في كفة ميزان، ص 28
76.عليان. د رشدي وسعدون الساموك محمد فؤاد ، الأديان دراسة تاريخية
مقارنة ، مطبعة دار الحرية للطباعة ، (بغداد 1976) ص 10
77.Jian Bozan، Shao Xun Zheng and Hu Hua،
ACONCIES، HISTORY of CHINA، Beijing، Ching،
1981.
78.المصدر نفسه، ص 111
79.البدء والتاريخ، ج4، ص63
80.رحلة ابن بطوطة ، ج2، ص 718
81.ابن النديم الفهرست، ج1 ، ص471

82.فيلسيان شالي موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، ط2(1994)، مطبعة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ج 2، ص105

83.الهاشمي الأديان في كفة ميزان، ص30

84.ابن النديم الفهرست، ج1، ص24

85.ابن النديم المصدر نفسه، ج1، ص25

86.ابن النديم المصدر نفسه، ج1، ص25

87.ياقوت الحموي معجم البلدان، ج3، ص444

88.هارولد بك وهربرت جون فلبر الأزمنة والأمكنة، ترجمة د محمد السيد غلاب، مراجعة د إبراهيم أحمد رزقانة، مطبعة مؤسسة سجل العرب(القاهرة ـ 1962م) ص 347

89.الشيناوي دائرة المعارف الإسلامية، ج14، ص479

90.المروزي طبائع الحيوان، ص6